

اللاماذا والكتابات النهائية

بقلم محمد الزايد

في مصدرهما الذي يتخارجان منه تعبيرا عنه ، الانسان ، او الانسا
الانسانية وحضورها الكينوني الواعي ، المنتبه للظواهر .

فشكل العلاقة المنطقية بين الكلمة - الفعل بالنتيجة ، لا يخضع
لسبق منطقي صوري ثنائي : سبب - نتيجة ، لان الكلمة ترتكس على
الفعل الذي تقونه تعبيرا مجردا ، والفعل يرتكس على الكلمة التي
يجسدها عيانا .

كذلك الحال بالنسبة لشكل العلاقة بين الموقف والوعي .
فبالرغم من اشتراط الموقف الواعي لحد ادنى من الوعي ، كالحظة
اولانية (٢) له ، لكنه لا يحتم ارتباطا شرطيا حتميا بين الموقف - الوعي .
الجدلية هنا جدلية لا حتمية . الامر الذي لا يفيد بدوره خلو المواقف
من وعي ما . فكلية (موقف) نسبية بنفس مقدار نسبية كلمة (وعي) ،
الى درجة يصعب معها حتى الاستحالة اخضاعها لمعيار اعتقادي ساكن
تفاسان به او تسحبان منه لترتدا اليه كانه نموذج مطلق لآفاق المعرفة
الانسانية وسلوكها . وهو تحليل ترفضه بالتأكيد المحتم العقلية المتقدمة
الدينية وغير الدينية .

واو حاولنا ان نجد خلفية فكرية معاصرة للاراء السابقة ورواها
التحليلية ، نجدها في كلمتين هما « حساب الاحتمالات » . بالذات
الكلمة الثانية « الاحتمالات Probability » ، التي تحيلنا
بعد ارتباطها العلاقي بالاولى « حساب » الى نقطة بنيانية اساسية
لتصورات العقلانية المعاصرة . فتركيب حساب الاحتمالات يجسد وعيا
واضحا لحدود العقل الانساني واحراجاته التي تبدى خلالها طرقه
وانشاءاته البنائية العلمية والتقنية .

ما الذي تتضمنه هذه الكلمة العظيمة : (احتمالات) وتشير اليه
من احالات ؟

اولى الاحالات التي تدل عليها باشارة قصدية واعية لذاتها ،
كونها لحظة التواضع العظيمة للعقل الانساني المعاصر في زممن
انجازاته العظيمة داخل اهاب اقصى مجالات فعاليته ضبطا ذاتيا
وقوة مدعاة للخيلاء « الرياضيات » ... الرياضيات التي تداخلت مع
مجمل علومهته الراهنة من تفجير بنية الذرة الى الخطوة الاولى فوق
سطح القمر . قد تكون منجزاته العظيمة تلك او تبنت لمنة مدمرة عليه ،

(٢) افهم باصطلاح (الاولانية) البنية الاولى او الوحدة
الاولى لكل مصادرة معرفية ، او لحظة عملية .

ليس اعلانا ان نصادر على نقطة انطلاق البحث في العلاقة بين
فكرة « اللماذا » ومفاهيم الكتابات النهائية ، فنقول : لقد توقف زمن
الكتابات النهائية . ولم يعد مقبولا افتراض الانطلاق من كتابات
نهائية .

السؤال اندي يطرح نفسه هنا ، ما المقصود من تركيب الكتابات
النهائية ؟

الكتابات النهائية ، كما افهمها ، هي الكتابات المقدسة ، او بشكل
اكثر تفصيلا ، كل كلمة او موقف يزعم ، او تزعم ، انها توضع ذاتها
مرة واحدة اخيرة والى الابد .

وسوف تقتصر مناقشتي التحليلية على مفهومين للكتابات النهائية
هما الدين والجنس . لكن وعلى الرغم من اقتصار التحليل على الدين
والجنس باعتبارهما اكثر اشكال الكتابات النهائية جذرية واهميسة
في البناء الفكري والاعتقادي لانسان مجتمعا ، فان تركيب الكتابات
النهائية ذو صفة شمولية تتخطى هذين المفهومين اللذين يتناولهما
البحث .

ضمن آفاق المقدمات السالفة باحالاتها المنطقية التي تتضمنها
او تشير اليها ، لا اعني بالكتابات النهائية احرف اللغة الكتابية ،
الكتابات المقدسة ، فحسب ، وانما كل ما يترتب على الكلمة من سلوك
وموقف وحضور انساني شخصاني كلي وشامل . لان الكلمة اساسا
تجسيد المعنى وتصوره داخل اسار الوعي الانساني الذي يترجمها فعلا
سلوكيا تقوله الحركة الجسمية العينية المباشرة . بذلك تكون للكلمة
اسبقية منطقية قبلية كنقطة بدء وان تبتت بعدية .

الا ان السبق التقلي المنطقي للكلمة لا يفترض استنتاج افضلية
قيمة للكلمة على الفعل . فالكلمة والفعل يلتقيان ، كنظر (١) وعمل ،

(١) الفصد بكلمة « نظر » الدلالة الاساسية التي تشير اليها
الكلمة في قاموس العربية ، حيث يتساقط : التأمل والتدبر والتفكر
المقدر والمفاس ... بذلك يصبح النظر فعلا والفعل نظرا ... مع
تأكيد رفضي للحسن الساذج والوعي السطحي الذي يقسم العمل
الانساني وفعله الى ثنائية سكونية عملي - نظري . (راجع ابن منظور
« لسان العرب » ج ٢ ص ٦٦٤) . ايضا - « المنجد في اللغسة
والادب والعلوم » ص ٨١٧ . نص ١٥ سنة ١٩٦٠ . المطبعة الكاثوليكية ،
بيروت .

الماضي وفلسفاته : او بعض فلسفات النصف الاول من القرن العشرين
(ظاهراتية هوسرل) (٥) .

ان الانسان هو ارض الثبات الوحيدة ، بوصفه مشروع وعسي
مفتوح وسط جميع الازمنة وعبر كل الحضارات رغم تنوع مضمون
كلمة انسان ودلالاتها من عصر الى عصر ، من حضارة الى اخرى .

فلا احتمال هو اللماذا (؟) ، قدرة الانسان غير المحدودة على
التساؤل والاستفهام ، واللامادية هي الامكان ، والامكان هو الحرية
بوصفها قدرة الانسان على النظر ، والنظر فعل ، ومحاولة استجلاء
معنى الوجود اكثر .

بما ان اللماذائية هي فسحة الحرية الانسانية فان فل اللماذا
- قدرة الانسان على التساؤل والبحث - ومحاربتها انما يعني بالنتيجة
قتلا لانسانية الانسان وحرية . الامر الذي كان وما زال وسوف يبقى
في مجال الترفض ولن يبرره اي معتقد او مبدأ او مذهب او نظرية
او شعار .

وقد ثبت بالتجربة التاريخية للانسان استحالة صب الوجود
الانساني داخل قالب ، او قوالب ، نهائي يستنفده مرة واحدة نهائية
واخيرة الى الابد . رغم ان محاولات الاستبداد العقائدي والمذهبي
لم تنقطع ولما تقف وربما لن تقف . ان تشييء الانسان عن طريق صهره
وتشكيله بعد صبه داخل قالب معد مسبقا ما زالت وستبقى كما كانت
مرفوضة بوصفها رمز العبودية والفقر والتسلط والاستبداد ، من
السلسل الى المعتقدات الصنمية .

لقد دفعت الانسانية انهارا من اندم ثمننا لحريةنا ...
تساؤلاتها ... امكانها ... احتمالها الاتي .. بالتأكيد ، قتل كثيرين ،
وسمل عيون كثيرين (عقوبة سائدة في اتاريخ العربي الوسيط) ...
صلب كثيرين ... سحل كثيرين ... جلد كثيرين .. باسم الزندقة
والهرطقة .

لقد حارب الاحتمال دائما ، احتمال فكرة ، اكتشاف ، تطلع
نحو الاتي ومن اجله .

الاحتمال اللماذائي والدين والجنس

سوف آخذ التصورات اللماذائية الاحتمالية السالفة وأقرأ على
ضوئها مجانبين يتعدن تناولهما بالبحث والتحليل فيهما او التساؤل
عنهما دون القيام برهان كبير ربما كلي في بلادنا : الدين والجنس .

الدين

نلمس في المجال الاول ، الدين ، الاق الاكثر احراجا وخطورة .
لان الاديان السماوية الثلاثة (اليهودية - المسيحية - الاسلام) خرجت
من ارضنا العربية .

يلاحظ في هذا المجال ، انه يستحيل البحث والتساؤل ، الشك
او الرفض دون مجابهة اللاتاساق الانفعالي الفاضب للصيغ الانتهائية
ونعوت (المروق ، الزندقة ، الفتنة ، الطائفية ، الالحد .

(٥) حاول هوسرل ان يصل الى فرض ارض مطلقة تصلح اساسا
لعلم كلي مطلق . وهو كعالم رياضي له مبررته . ربما يكون مبدأ
الهوية الذي تناسس عليه تصورات « الحساب » اتعدد ، أي الرقم ،
هو النبي قاده الى رؤيا المطلق كقصد تفلسفته . وبما ان نقطة انطلاقه
تلك الرقم الحسابي ، فان الامانة التامة لدرضية بحثه عن المطلق عبر
(الهوية) تقتضي انتحار مشروعه لحظة ولادته . لانه قتل مطلقه بهويته
الحسابية لكونه مطلقا في نسبي . لقد انتحرت رؤياه لحظة انبثاقها
المنهجية العظيمة . - راجع ادوموند هوسرل « تأملات ديكارتيية ، المدخل
الى الظاهريات » ترجمة د. نازلي اسماعيل . دار المساريف بمصر
سنة ١٩٧٠ .

وهي قضية مرهونة بعوامل عديدة ترجع بصورة رئيسية الى الايدي
والرؤوس ، او الرؤوس الايدي التي تقود نظم الحكم في المجتمعات
المعاصرة .

اذا رجعنا اني كلمة (احتمال) ، نرى انها تساوي مضمونا
متماثلا لكلمات فكرنا العربي الوسيط « الله أعلم » او « العلم عند
ربي » وهي جمل كانت توضع في بداية الفصول او نهاية الابواب
وفقرات المؤلفات الدينية وغير الدينية .

لا بد هنا من حفظ الفارق الجذري بين الاحتمال والله أعلم
خاصة من حيث احالة الدلالة التي يتجه نحوها انقصد الاحتمالي .
ففي الثانية ، الله أعلم او العلم عند ربي ، تتجه احالة انقصد
الاحتمالي اني مفهوم لاهوتي هو « الله » بينما تتجه احالة انقصد
الاحتمالي في الاولى « الاحتمالات » اني ذاتها اي الى الانا الانسانية
الواعية وحضورها الوجودي بالاضافة الى ظاهرات الوجود المتبدية
امامها . كما تتجه ايضا وعلى مستوى اكثر عمقا ، اني المجهول
والغامض وغير المعروف وانلامنجز بعد . بالنتيجة ، الاحتمالات هي
مجال اللماذا الانسانية في حيرتها وقلقها ، وتورها وبحثها عبر فعاليتها
المبنولة انني تظل مشدودة ضمن اسار حدود النسبية الانسانية من
الرياضيات اني الفيزياء ، الى علوم الفضاء ، وعلوم الانسان
الاجتماعية ، بل ايضا في كلية الفلسفة .

ان التمايز القائم بين الاحالتين كيفيا نهائيا بحيث يتعدن معه
فرض اللقاء التماثلي من حيث النتائج رغم تشابه المقدمات .

فبينما يجذب مفهوم « الله » اللاهوتي جهد الانسان وفعله وكلمته
نحو الايمان الديني وضمانية التسليم عند نقطة معينة مهما كانت بعيدة ،
يقذف مفهوم « الاحتمال » فعالية الجهد الانساني ويلقيه بكليته الى
الحيرة وانقلق ومحاولة البحث اكثر داخل آفق حياة مصيره المجهول
الكنه .

لكلا المفهومين نتائج ترتب عليه اجراتيا . تنظر لتشارف
الركود السكوني للمعتقدية بالنسبة للمفهوم اللاهوتي « الله » (للفكر
العربي تجربة ضويلة معه) ، او تنظر لتشارف العممية الشاملة في
الثاني « الاحتمال » نظرا نفموض اتبحث ومشقته المحكومة بصيرورة
دائمة قد تفرغ قابلية الاستمرار وقدرته من مقوماتها لاسباب عنمية
تتخطى اسارية مفاهيم علم النفس المرضي وغير المرضي بالتأكيد ...
لان البعد الايجابي للرؤيا التمدية يكمن في تشكيلها دوافع نوعية
وبواعث جديدة لمحاولات آلفهم اكثر للحالات والظاهرات المعاشة . والا
توقف مشروع العلم رغم لايقينية مسلماته كعلم في التحليل الاخير (٢) .

يرادف مفهوم الاحتمال فلسفيا على مستوى افقي واحد
مفهوم الامكان Contingency او فكرة الوجود بالقوة .
بالنسبة لبنائية هوية الوعي بين المفهومين تماس Contact
ليس تماسا اقترانيا Contiguity ، وانما تماس محاذ
Correspondence (٢) عموما ، ايا كان نوع التماثل في مضمون
ترادف الكلمات فهو اعتراف مباشر بمحدودية المنجز والقائم الراهن
مع تأكيد رفض التوقف نهائيا عنده ، مرة واحدة امامه .

لذلك تم تعد هناك ارض ثابتة صلبة ، سكونية ، اخيرة مطلقه
لعلم مطلق تقف عليها مرة واحدة والى الابد كما زعمت علوم القرن

(٣) ناقشت هذه الفكرة بالاضافة الى فكرة الوعي التراثي
وعلاقتها مع حركة اتحويل العربية المعاصرة في بحث سابق يتوسع
اكثر « شبائنا وازمة اثراث » (التراث بين التقدمية والرجسية)
ص ٢١ (مجلة المعرفة عدد ١٠ سنة ١٩٧١) .

(٤) تستند الاصطلاحات الفلسفية المستعملة هنا الى قاموس
« مصطلحات الفلسفة » بالفرنسية والانكليزية والعربية .

الكفر (٦) ، الى آخر سلسلة الاوصاف والمسميات التي قد تصل الى مستوى الاجراءات القانونية المرفوقة بصك اذانة وحكم دون محاكمة على منتهم يمارس ابسط حقوقه الانسانية عبر تساؤل؟؟

يصلب ذاتيا وموضوعيا ... تنهاى كلماته وتتساقط كتاباته بين الايدي السوداء للرقابة . يسمل رأسه كله لا عيناه فقط كما كان يفعل الاجداد ، تتركز جهود اجهزة كاملة ومراكز كثيفة تجسد سائر التاريخ وانقائه واوزاره لكي تحجب لماذائته ، شفافته وارهافه المهم صمته ، سكوته ... خنق وعيه ، بيد الخليفة او الفقيه .

القائم هو المؤلف ، والمألوف هو السائد ، والسائد هو المعتقد والكل مؤمن ... الايمان لا يقبل الكسر ... لا يحتمل التأويل . فيبدأ اغتراب طويل للفكر تدفعه آيات البطولة والندرة ... الدين تابو Taboo (٧) ... محرم . يستحيل الاقتراب منه ، التماس معه ، الحوار فيه الا بعد مصادرة الوعي لفئة او فئات غشت بصيرتها مالوفية الموروث وضبابية اترسوخ في العلم .

ان بقاء الدين والفكر الديني على هذه الوضعية خارج حدود البحث احدى اكبر مآسي فكرنا العربي المعاصر .. حرية الفكر مجابهة الايدي التي تحمل سيف التحريم يضربون به رأس او يد كل من تسول له نفسه او سوف تسول له نفسه ، الشك ، التساؤل ، الرفض لمسلمات المفلق وبدهيات الصحة المحضة والصواب غير النهائي الذي لا يقبل الجدل ، وان يقبله ، ولا يحتمل المناقشة او يخضع للعقل ، بل وحتى اللاعقل ...

الدين قائم لانه قائم . وعلى فعالية الفكر وحرية العقل الانحاء والركوع والسجود لصحيته ووثنيته .

اما اعلان ثورة للماذائية فهي زندقة ، مروق ، هرطقة لعنة وارتداد ، وكل مرتد يقتل ، وكمن من الآلاف عندنا على استعداد للفوز بشرف بطولة الانتساب بدمها ؟ يوافق الجميع ... يصمتون ، يتصامتون ، خوفا ، طمعا ، رهبة او ايمانا ..

تبقى للماذائية تلهج داخل ذاتية الوعي انذي تجرأ واخترق اسوار القائم وجدران المعطى المؤلف والسائد الموروث .

ذلك هو مصير الوعي للماذائي الباحث عن انسانيته في مجتمعا ، ربما الباحث عن يقينه الديني نفسه (الصوفية مثلا) . الصليب دائما .

وطبيعة المصير الشخصي للوعي للماذائي ، مرهونة شرطيا بمدى حدة شجاعته الاخلاقية المستمدة من حدة لماذائته وجنرنتها . العلاقة بين الشجاعة الادبية والماذائية والمصير الشخصي علاقتهم طردية . كلما ازدادت جرأة مجابهة الماذائية وعمق صميميتها كلما تضاعفت عممية العقوبة وراسنها وتمزيقها . على صعيد الدين ، مصير لماذائيات الصوفية في غنى عن التعريف : (العلاج - السهروردي - ابن عربي - ابن سبعين) .

لست راغبا في ايراد امثلة من تاريخنا الفكري المعاصر (تاريخنا القديم ينضح بأمثلته) لان ندرة الفكر المتورد تثير مشاعر الخجل بوصفها اشارة اتهام لاخلاقية الفكر في بلادنا .. انفكر التابع المنحني

(٦) اطلقت هذه التعمت حتى على الصوفية عندما احدثوا

ثورتهم الروحية على الفقه الاسلامي السني . - راجع ابو العلاء عفيفي « التصوف - الثورة الروحية في الاسلام » ص ١٠٤ اصدار دار الشعب .

(٧) المقصود هنا ، المقدس على مستوى الفكر وليس الدلالة

الاساسية لمصطلح تابو Taboo ، في علم الاجتماع والانثروبولوجيا Anthropology . وقد استعملت نفس الدلالة للاصطلاح ف

بحث شابنا وازمة التراث (ص ٢٩) المشار اليه آنفا .

امام العتبات السياسية والدينية .

سوف يصرخ هنا قضاة كثيرون ، باحكام القيمة على الرؤيصة الواقعية الراجعة السابقة .. وما أكثر القضاة في مجتمعات واطان فضائها متهمون بعد ان تحنطت لماذائية الرفض داخل الذات الفردية قبل الجمعية .

مع التاكيد على كلمة « تحنطت » التي تعني البقاء دون فناء وبلا حياة في نفس الآن .

لقد وصلنا الى حزيران الفرد قبل ان نصل حزيران المجتمع ، حزيران الكلمة قبل حزيران البنديفة ومعه . حزيران التاريخ قبل حزيران التاريخ .

الاحتمال للماذائي والجنس

يتماثل الجنس مع الدين في بلادنا من حيث هو تابو مقدس ، محرم بالاستناد الى معايير الاخلاق السائدة . يستحيل البحث فيه او التساؤل عنه ، دون القيام برهان كبير على السمعة الادبية والاخلاقية لشخص السائل المسائل .

من البدهي ، والعقلية الاخلاقية السائدة مطوقة بالمنوع والمحرم ، ان تتباطن الذوات الفردية والمجتمعية بعقد الكبت ومركبات النقص والاسقاطات نتيجة الاغماض والتجهيل ، الصمى الجنسي ، في مجال التربية الجنسية لما هو طبيعي مع التركيب الجسدي لكل فرد وفيه .

سوف يقتصر التحليل هنا على الجنس عند الرجل في بلادنا لان الاسس الواقعية لصديق الحديث عن الجنس عند المرأة في بلادنا ضعيفة لكوني رجلا ، ولان الموضوعية المحضة للذات او للموضوع مستحيلة التطابق بتحديد لا يقبل النفاذ او التساؤل . ان عبودية الرجل هي الجزء المفقود من حرية المرأة . وعبودية المرأة هي الجزء المفقود من حرية الرجل .

تحكم الرجل في بلادنا عبودية جوانية تصويرية يمكن تعديلها بما يمكن تسميته التصور الجنسي للمرأة .

والتصور الجنسي للمرأة تصور اختزالي لانسانية المرأة . يختزلها ليصحبها داخل اسارية قالب فعالية حيوية جسدية هي الفعل الجنسي . فهو يسقط الانا الواعية للمرأة ويحذفها لصالح البعد الفرائضي الجسمي الذي يصبح هو الحضور الانساني للمرأة في نظر الرجل ، وهذه اعلى درجة تشيئية لانسانية المرأة يمكن افتراضها حيث تتبدى المرأة جسدا وشهوة فقط .

ولا بد من التاكيد على جدلية العلاقة بين الطرفين .

ففعل التشييء لا يقع على موضوع التشيؤ - المرأة - وانما على مصدر - التشيؤ - الرجل - لان مصدر قصد التشيؤ - الوعي هو الذات التشيئية للرجل ايضاً .

تشيؤ المرأة الانسان ، تشيؤ الرجل الانسان : كلاهما ممارسة عبودية ، غير حرة ، للتشييء ، بحذف ما هو انساني في كليهما .

لكن لا بد من التمييز هنا بين عبودية الرجل وعبودية المرأة ضمن التصورات المنطقية السالفة .

عبودية المرأة ، مظهرية ، شكلية ، برانية ، ترتكس على جوانيتها ماهيتها الشخصية والاخلاقية ، بصورة كلية .. فنقطة انطلاق عبودية المرأة هي المجتمع ، الرجل ، السلطة . من ناحية ثانية ، نجد ان حرية الرجل مظهرية شكلية ايضاً ، ترتكس على ماهية ادماسته الذاتي الوهمي بالحرية السلوكية ، وقدرته على التصرف والتقرير والاختيار .

هو الذي يفرض عقوبة الفضيحة الخلفية كقضية للاستتار . تقع جرائم الشرف غالباً بعد دخول الحدث الاخلاقي مرحلة العالانية . عندما يعرف الآخرون . هكذا ، يبدو لي ، ان ظاهرة العصبية ، المجتمعية والخلفية ، التي حلتها عبقرية ابن خلدون منذ ستة قرون تقريباً ، ما زالت قائمة تتحدى الفكر العربي المعاصر . بعد ان انتقلت العصبية بحكم التغيير الحضاري والاجتماعي الكلي ، من عصبية الدم والقرباة والقبلية الى عصبية الاخلاق والسلوك والقيموالفكر . والعصبية التصورية اكثر تحجيراً من المتقد الديني ، وقدرته على التأثير المباشر اكثر عمقا منه ، بل هو امتداد لها . وعصبية التصورات والفكر ، لا تتحدى رؤى فكرنا الراهن بل تتحكم بمصير فكرنا الابداعي .. فكرنا الآتي .. فكرنا الاحتمالي للمآذني المبدع . والابداع في اساسه لحظة رفض متمردة لما هو معطى وقائم وقراءة مفارقة تطالع الموروث التاريخي والحضاري الكلي ... هل نستطيع ان نعيد النظر والتأمل بطرق انشاء الانسان انساناً؟ هل نستطيع ان نعلم اطفالنا فضيلة اللماذا والتفتح الحر غير المحدود ؟

يبدو ان على جميع الربيين والقضاة ، كل انماط السلطة ان تتعلم منظور الاحتمالات ، البحث ، والتمرد واعادة النظر بما هو معطى وقائم موروث .. وهي عملية تعليمية تربوية لن تتم الا بعد طرح الاسس النظرية للمسلمات المعتدية المطلقة السائدة ، ومعالجتها عبر افق اللماذا الاحتمالية .. ربما استطاع الاولياء ، بعدها ان يقيموا صرح اخلاقية نوعية اخرى توحد ازدواجية اخلاقية الاستتار الفصامية لمبدأ « اذا بليتم بالمعاصي فاستتروا » .

ان قوام المصادرة الاولى العقلانية المعاصرة يقوم على رفض الكتابات النهائية والاضاع الحضارية المطلقة . فالتواصل الحضاري (المواصلات) ارضية حتمية للفعل الانساني وسلوكه المعاصر . ان روح العصر وعقلانية الاحتمالية تفرض ذاتها على جميع ظاهرات الوجود والفكر . فاذا لم يقبلها اولئك المعتديون او يتمثلوها ارادياً ، فسوف تكرههم على ذلك بالتبعية .

محمد الزايد

ونقطة الانطلاق هنا ، الانا الواعية للرجل . ما بين تشييء برانية المرأة ، عبوديتها ، وتشييء جوانية الرجل ، عبوديته ، تقع فسحة مشكلة الجنس وعقده في بلادنا . ومن المناسب ، ان نطرح هنا ، السؤال الكيفي الآتي : كيف ينشأ الانسان دينياً وجنسياً في بلادنا ؟

الحديث عن التربية ، هو التحدث عن طريقة انشاء الانسان . كيف يتم انشاء الانسان في بلادنا من الناحيتين الدينية والجنسية ؟ لن استند الى نظريات تربوية مستمدة من تجارب مجتمعية اخرى تختلف تجربتها الحضارية والثقافية عن مجتمعنا كما تفعل كتب التربية عندنا ، وانما سوف اقوم بعملية قياس استدلالي تستقرىء الظاهرة انطلاقاً من التجربة العصبية للواقع المعاش . من المعروف انشانياً ، ان بدء الوعي الانساني يبدأ بسؤال - لماذا السنوات الاولى للطفولة . والوعي التساؤلي عن الدين والجنس يبدأ غالباً بسؤالين اينين :

- اين الله ؟

- من اين ولدت وكيف ؟

تبدأ مع بداية الوعي التساؤلي ، سلسلة لا تنتهي ولن تنقطع من الحرام والعيب والهدا كفر .

ويزداد عنف تجسيد التحريم ايصل الى القمع والصفع مع ازدياد احتدام الوعي التساؤلي ورغبة الفهم واشتعال تكرارية اللماذا ، بطريقة او باخرى من طرق الاسكات ومناهج القمع التسي يتقنها الاباء والعلمون والربون والقضاة .

يخفق التساؤل من فوق الشفاه ليهي داخل جوانية الذات التي تبدأ البحث عن الاجابات المكننة في الشارع ، الكتب المحرمة ، والصحف المتنوعة التداول ، الكتيبات الجنسية السرية .

مع السنوات الاولى اذن لرحلة طفولة الانسان المبكرة في مجتمعنا ، تبدأ اول مراحل اضعاف قدرة الانسان التساؤلية . فتبقى الاسئلة معلقة داخل جوانية (الانا) خلال سنوات عمره الآتي لتشكل خلفية ممارسات طقوس الجنس والفكر المحرمة بصورة سرية .. خاصة وان قاعدة الكبار « المهم ان لا يراك الآخرون » . والمبدأ الاساسي لآخلاقهم الاستتارية .. اخلاقية الاستتار (اذا بليتم بالمعاصي فاستتروا) . المجتمع

دار الآداب تقدم

العراء

مجموعة قصص

بقلم الدكتور سهيل ادريس

يصدر هذا الشهر